الأهرام

المصدر: تشرين

التاريخ : ٢١ اغسطس ٢٠٠٥

مسيرة العلاقات السورية ـ اللبنانية بين الإجحاف والإنصاف «13» أول إنجازات الجيش العربي السوري في لبنان

حسان علي

أمام تمادي موجة العنف الجديدة والإصرار على رفض تطبيق اتفاق الطائف الذي حظي بمباركة اللبنانيين، ودعم الدول العربية، ودول العالم قاطبة من خلال البيان الذي صدر عن مجلس الأمن وأيّد هذا الاتفاق، كان من الواضح أن سورية وحدها القادرة على وضع حدٍّ لهذه الآلام والمآسي بعد أن فشلت القوة المتعددة الجنسيات في تحقيق ذلك عام 1982 وسبقها فشل قوات الردع العربية التي شاركت فيها معظم الدول العربية التي سحبت جنودها من لبنان عند إطلاق أول رصاصة على هذه القوات من قبل المعارضين لإنهاء الحرب.

وكان من الواضح أيضاً أن على سورية التزامات بمقتضى رعايتها لاتفاق الطائف والاتفاقات الأخرى، ولهذا قامت القوات السورية في شهر تشرين الثاني عام 1990 بتنفيذ عملية عسكرية بناء على طلب رئيس الجمهورية اللبنانية والحكومة اللبنانية الجديدة، التي تشكلت بعد إقرار اتفاق الطائف من قبل المجلس النيابي، وتمكنت القوات السورية من إنهاء التمرد العسكري الذي أدى إلى تعطيل تنفيذ اتفاق الطائف، وهكذا أدت العملية العسكرية التي نفذتها القوات العربية السورية بمساندة الجيش اللبناني إلى فتح الطريق أمام أطول فترة للسّلم الأهلي منذ جلاء القوات الفرنسية عن لبنان في عام 1943، ولولا قيام القوات السورية بهذه العملية لاستمر الاقتتال الداخلي إلى وقت طويل ولسقط الكثير من اللبنانيين ضحايا لحروب تحولت في السنوات الأخيرة التي سبقت العملية التي نفذتها القوات السورية إلى اقتتال بين أطرافِ الخط السياسي الواحد،

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

حيث دارت الحروب ليس من اجل برامج ومبادئ سياسية، بل من أجل الزعامة والسيطرة على هذه المنطقة أو تلك من قبل هذا الزعيم أو تلك الميليشيا، ما وضع لبنان على حافة انهيار مروّع على الصعد البشرية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية.

إذاً، السلام الذي حظي به لبنان منذ عام 1990 وحتى نهاية عام 2004 حيث تحول لبنان من أكثر بلدان العالم اضطراباً على الصعيد الأمني إلى أكثرها استقراراً، ما كان ليحدث لولا الدور الذي لعبته سورية، ويخطئ من يعتقد أن هذا النجاح كان عُسكرياً وأمنياً فحسب، ذلك أن دولاً أخرى (إسرائيل والدول المتعددة الجنسيات) أرسلت إلى لبنان أكثر من عدد القوات السورية بأربعة أضعاف في عام 1982 ولكنها فشلت في إنهاء الحرب، رغم تعاون بعض الفئات اللبنانية معها، بل إن الصراع ازداد ضراوة ولم يهدأ إلا بعد انسحاب القوات الأجنبية والإسرائيلية من أجزاء واسعة من لبنان ونجحت سورية حيث أخفق الآخرون، وكان هذا النجاح ثمرة لعاملين أساسيين ميزا السياسة السورية في لبنان:

العامل الأول، إصرار سورية على أن يكون الحل الذي يصار إلى اعتماده عادلاً ومنصفاً لجميع الفئات اللبنانية وآخذاً مصالح وهواجس جميع الفئات بعين الاعتبار بمعزل عن مواقفها من سورية، وبمعزل عما إذا كانت مرحبة أو رافضة للدور السوري في لبنان، ولهذا كان هناك قبول لدور سورية من أغلبية الفئات اللبنانية،

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

على عكس موقف هذه الفئات من دور الدول الأخرى التي سعت أو ادعت أنها تعمل من أجل حل الأزمة اللبنانية التي طالت أكثر من اللازم.

العامل الثاني، لم تكتف سورية فقط باتخاذ مواقف منصفة وعادلة إزاء مطالب جميع الفئات، بل لعبت دور الوسيط لتذليل الخلافات التي تنشأ بين الحين والآخر وتدفع القوى المحلية اللبنانية للعودة من جديد إلى شكل من أشكال المواجهة، وكانت أغلبية اقتراحات سورية لحل الخلاف تجد القبول لدى الفئات اللبنانية المتصارعة، وكان أن ترتب على هذا الدور ترسخ مسيرة الاستقرار وتوطدها وقدرتها على تخطي كل الأزمات التي اندلعت خلال السنوات الأربع عشرة التي رعت فيها سورية السلم الأهلي في لبنان، ولعل هذا هو الذي أدى موضوعياً إلى انغماس سورية أكثر من اللازم في بعض تفاصيل الحياة السياسية اللبنانية، وهو ما لم يعجب بعض الفئات اللبنانية التي كانت تتطلع للعودة إلى سياسة الامتيازات والاستئثار وكانت سورية عبر سياساتها، تشكل عقبة في وجه هذا التطلع وهو ما دفع هذه الفئات إلى استغلال رياح التدخل الخارجي وسعي الدول الكبرى لمحاصرة سورية عقاباً لها على سياساتها القومية لتنظيم المعارضة الواسعة ضد الدور السوري في لبنان.

www.ethraadl.com